البنت والحذاءة والكتاكيت

بقلم
محمد وفيق حسن

الوقت شتاء ، والشمس تشرق ـ بعد طول غياب ـ فجرت البنت وصعدت الى السطح ، وفتحت العشة ثم نزلت من السطح ، وجرت الى داخل الشقة ، احذت الكتاكيت ، وصعدت الى السطح ثم وضعت الكتاكيت . نزلت مرة اخرى ، احضرت خراط البرسيم والبرغل ودورق ماء وصعدت مرة اخرى وفرشت الحصير وفتحت القفص ، خرجت الكتاكيت ووضعت الاكل ، جلست بجانبهم على الحصير ، الكتاكيت تصوصو ، تلعب ، تشدو ، تاكل ، تشرب والبنت فرحة تضحك ، والكتاكيت تلعب على رجليها وتدغدغها بمخالبها الصغيرة . البنت فرحة تلعب معها ، فهى مازالت طفلة صغيرة فى عمر كتاكيتها . هى تحب الكتاكيت والكتاكيت تحبها ، فهى بنت ذكية ، حلوة ، نمسة ، تقاطيعها مصرية ، حمرية اللون ، تضحك وتبتسم فتظهر غمازتان على وجنتيها . البنت فرحة .. تجرى ، تهش الصغار والصغار تلعب ، تمرد ، تصوصو ..

الشمس دافئة ، الجو صحو والبنت فرحة ، والكتاكيت ترتع ، والبنت تبتسم والكتاكيت تاكل وتأتى العصافير وتحط بجانبها ، والعصافير تاكل والبنت تنظر ... ثم تجرى ، تفتح العشة ، تاخذ شيئا ، تاخذ عصا وتهش العصافير والعصافير تصوصو ، وبجن قليلها وتترك العصافير تاكل فهى صغيرة وهم صغار مثلها . وتحط عصافير وتطير عصافير والكتاكيت تصوصو وتتجمعت رؤوسها فى خط واحد واتسقت مناقيرها الى اسفل ، والكتاكيت تاكل ، تشرب ، والبنت تهز راسها طربا وقد اهتزت معها ضفيرتاها اللتان تنتهيان بشريط

حضر البيت كلها حساسيس ، الله فرحة ، سعادة وهناء ، فالشمس لم تظهر منذ عدة أيام ، وها هي قد ظهرت ... هي بحاجة الى الشمس والدفء والكتاكيت صغيرة لم ينبت لها ريش بعد ، الكتاكيت دافئة ولكن احتضنها فلا ريش وأرجلها مازالت لدنة .. انها كتلة صفراء والبرعل اصفر والبرسيم أخضر والشمس للدجاجة ، اشعتها عمودية ـ فنحن مازلنا في الظهيرة ، ـ اشعتها كثيرة تفرش جميع السطح والبيت كالزهرة ، ناصعة ، دكية ، تجري هنا وهناك وتوالي الصغار ، ثم تنظر لهنا في غبطة وتقول لنفسها :

متى اراكم دجاج ؟ ... دبوك وفراخ ، كلوا ... صوصوا واكبروا بسرعة ، الشمس بعيدة ، سعيدة جدا انها تضحك دون ان تدري ، والكتاكيت تتباعد ، تشرب تاكل ، واشعة الشمس تسري في اجسامها الصغيرة ، والعصافير مازالت تحط وتغدو ..

وفجأة يمر على المكان طيف خيال مثل سحابة معتمة سريعة فتجري الكتاكيت وتصوصو وتطير العصافير مرتعدة مصطكة الى الاعالي .. والبيت جرعة فرعة والكتاكيت تتكمش وتصمر وتنظر البيت الى الجو فتجد حداة ... نعم حداة جاءت كاسرة تحوم حول البيت وصغاره ! ، ولكن العصافير قد طارت ... آه ويحكم ، ويحكم ياعصافير ، لقد طرتم !.. ولكن الكتاكيت مازالت ارجلها طرية ، ولم ينبت ريشها بعد !!

وحالت الحداة وصالت والبيت ترقب الحداة ، والحداة ماكرة عيناها حادتان ، ولونها اسود ، والعصافير صغار لونها اصفر والبرعل اصفر ، والبرسيم أخضر ، والبيت تربط شعرها شريط أخضر ... ولكن الحداة سوداء .

وتحوم الحداة في دوائر متتالية والبيت خائفة ، فالعصافير صغار ، ارجلها لدنة ، والبيت فرعة ، الابتسامة تتبدد ، تموت من على شفتيها والحداة الماكرة مازالت تحدق .. الكتاكيت مزعجة ، تتكتل ، تتعارف ، تلتصق وصغيرها ما زالت الى اسفل والحصير مفروش والبرسيم عليه والبرعل ودورق الماء وعليا صغيرة وضع فيها ماء ايضا ، ولكن الكتاكيت لا تاكل لاتلعب لا تشرب ... والبيت تقف حذرة والحداة تحوم كما هي ، بصرها حاد، حاد جدا ، تريد ان تنتهز فرصة وتسلب من الصغيرة صغارها . البيت حذرة وتفهم الحديعة ، فتقف على اهبة الاستعداد ، العصا بيديها والتصميم في عينيها .

الحداة تبتعد ثم تحوم في دائرة اكبر وتحلق في الجو على ارتفاع اكثر ثم تحوم في دائرة اكبر وتحلق في الجو على ارتفاع اكثر ثم تحتفي . وتفرح البيت بزوال الخطر وتساعد الصغار بعد طول انكماش وتشدو باصواتها الموسيقية ترنيمات عذبة ، ولكن ... تظهر الحداة قريبة جدا في لمحة بصر وتحاول في محاولة خاطفة سريعة جدا ان تنقض على الصغار وتخطف احداها البيت فرعة .. فتحاول ان تضرب الحداة هنا وهناك ضربات عشوائية ، ولكن الضربات لا تصيب الحداة وتولي الحداة الادبار راجعة ثم تهطق

مكان بعيد على حشية حل عسيل فوق سطح منزل .

وتطير الحداة من بعيد وتتأمل المأمورة كما لو كانت تقول ـ الحاف منك انت ايتها الطفلة ! والله لاعاود الكر والفر من جديد حتى أبلغ غرضي.

وكان البنت تفهم ما تعنيه الحداة، فهي بنت ذكية ، بشيطة واعية،حمورية . آه ... ولكن الابتسامة قد ضاعت من وجنتيها .

وتحاول الحداة من جديد ، وتحوم في دوائر اخرى مترصدة البنت والكتاكيت بنظرها الحاد ، وتلف وتدور وتصول مسطرة اللحظة السانحة لتنكب على الفريسة . وتعاود الكرة ولكن البنت واقفة .. البنت تتحدى الحداة . وتضرب البنت الحداة بالعصا والعصا لا تصيب الحداة وتجري الحداة مرة اخرى وهي لا تستطيع الظفر بشيء وتقف من جديد على حشية حل عسيل فوق سطح منزل بعيد نسبيا . وتفهم البنت تحدي الحداة فتحضر عصا . عصا غليظة ، غليظة جدا . يجب ان تنقض على الحداة وان تقهرها ، انها تعرف ان الحداة طائر جارح ـ وهكذا قالت لها المدرسة في المدرسة ـ ولكن لن يقف امامها شيء .

وتدور الحداة ومع دورانها يدور عقل البنت ، يثور عقل البنت ، البنت مشعلة ، البنت اصبحت الآن عنيفة . وقد صممت ان تهاجم الحداة ان حاولت هي ذلك ، ان تضربها وان تطرحها جسدا بلا روح وبلا اعين حادة .

وتفكر الحداة وكأنها تخاطب نفسها فتقول :

ـ الحاف انت يا صبية ! لا .. ثم لا .. لاعاود الهجوم واكن اشد بطشا واكثر شجاعة ولاخطف كتكوتا في لمح بصر .. اقتنعت الحداة بالفكرة وفهمت البنت الحيلة ، فاستعدت مرة اخرى واقبلت الحداة مسرعة برفرف بجناحيها كريح عاتية . وفي لحظة خاطفة حاولت أن تخطف الكتكوت ولكن البنت كانت لها بالمرصاد .. وانقضت عليها البنت بكل قواها ماسكة بكلتا يديها العصا الغليظة وضربتها ضربات متلاحقة ، ولكن الضربات لم تصبها . وفرت الحداة مرة اخرى دون ان تصاب بأذى ودون ان تخطف الكتكوت . وتتكرر محاولات تلوها محاولات والحداة تفشل في ان تسلب البنت شبلها وضربات البنت لا تصيب الحداة .

والبنت ما زالت مصممة على القتال والنزال متأهبة مستعدة الى المعركة الى نهايتها . وصغار الكتاكيت قد اصبحوا كتلة صفراء كبيرة من قطيعة مسافيرها الى اسفل واعينها رائعة واصواتها متقطعة كصفارة انذار وقت غارة جوية .

وتعاود الحداة الكرة والبنت تضربها بالعصا والعصا لا تصيبها . وتهجم الحداة مرة اخرى على حشية حل عسيل فوق سطح منزل بعيد نسبيا . وتفكر الحداة هذه المرة مليا في الأمر وقد اصبح في علم اليقين انها لن تستطيع التغلب على البنت . والشمس مازالت ساطعة والجو دافيء صحو والوقت قد اصبح بعد الظهيرة ، والحداة وقد يأست في محاولتها العنيفة للتغلب على البنت ، تحول بخاطرها افكار اخرى انها تريد النصر ، تريد الانتقام ..

فالمسألة اصبحت الآن مسألة كرامة وفى سبيل الكرامة يهون كل شىء .

الا تستطيع وهى الطائر الجارح الذابح الصيد أن تتغلب على طفلة صغيرة مثل هذه البنت ؟ .. ويدفعها الصغف والحقد والغشل فى أن تغير رأيها ويدور بخلدها فكرة أخرى ... لن تأخذ أى كتكوت ... لن تأخذ شيئا .. ان هدفها الآن البنت نفسها .. لتهجم عليها فى لمح بصر ولتحاول أن تصيبها بجرح ، بجرح فى وجنتيها حتى لا تضحك الى الابد ، ويذهب جمال هاتين العينين . وتحول الحداة وتصور فى دوائر متباعدة متقاطعة مركزة على العمل نفسه فهى تحقد على البنت ولا بد أن تشفى غليلها .

تحوم الحداة ، وفجأة وفى لمح البصر تهاجم هذه المرة الفتاة نفسها والفتاة بيدها عصا والعصا عليظة والحداة لا تبالى فقد صممت ـ وهى حاقدة ـ على أن تنتقم ، وتضربها البنت بالعصا والحداة لا تتراجع وتهجم على البنت وتنقر البنت بمنقارها فى مكان ما تحت عينيها وتنقرها ثانية وثالثة ... ورابعة

والدم يترف ، الدم نزيل ، والبنت تصرخ وتصرخ والدم يترف ، الدم أحمر ، احمر قانى ، البنت تصرخ تبكى تتوجع ، لا ترى ، لا تسمع ، والشمس تختفى والجو يبرد وينتهى الدفء ـ كله فى لحظة ... والسحاب ينتشر والبنت ما زالت تتوجع والحداة قد اختفت من المكان .

الكتاكيت فرحة والماء يسكب من الدورق على الحصير والجو قد اصبح شتاء كما كان ، وصوت رعد في السماء وصور برق ، والسماء تمطر ويسيل عطلها على الحصير ويمتزج مع الماء الذي انسكب من الدورق على الحصير والسماء ما زالت تمطل ، والبنت مازالت تبكي ، تريح تصرخ ... والكتاكيت فرحة والمطر يشتد والبرق يزداد والرعد يقصف والجو برده قد أصبح لا يحتمل والصغار مشتتون والحذاء قد اختفت تماما من المكان .

وفي اثناء هذا الشتت والصخب والرعد والبرق والمطر والدم والبكاء والعويل .. كانت هالة حذاء عجوز

ـ نعم حذاء اخرى عجوز ـ كانت تقف في مكان ما فوق عمود تليفون .. تراقب العملية من اولها الى آخرها .. والآن وبعد أن تشتت جميع القوى .. الآن فقط ستحب لها الفرصة فاقتربت من المكان باطمئنان وتؤدة . اقتربت من السطح بكل هدوء، والتقت على مهل خير الكتاكيت واسمها والتقطته بمنقارها وفرت به .. فرت بعيدا الشمس بعيدا ... وما زالت البنت تبكي والمطر يهطل وصوت رعد وصور برق واصوات الكتاكيت متقطعة كصوت صفارة انذار وقت حرب، وقت غارة جوية .. ، ولكن الشمس ستشرق ثانية .. ـ هذا ما قالته البنت في سرها ...